**طهارة القلب**

**الاستاذ الدكتور / سعد سعد جاويش**

**روى الامام مسلم فى صحيحه عن ابى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم وأشار باصابعه إلى صدره " القلب لطيفة ربانية صغير الحجم لكنه كبير القدر عالى المقام لانه موضع نظر الحق عز وجل ومهبط رحماته ومنزل الملائكة بالنور والعلم والاشراقات الإلهية**

**لان نور العلم والفهم عن الله وموارد الخير لا تقذف فى قلب العبد الا بواسطة الملائكة والقلب هو المخاطب من الله تعالى والمعاتب والمعاقب والمطالب بحقوق الله وحقوق العباد**

**وهو المطيع فى الحقيقة لله والذى يظهر على الجوارح من العبادات اثار انواره وهو العاصى المتمرد على اوامر الله والذى يظهر على الجوارح من تمرد وقسوة وعناد اثاره وباستنارته تشرق الاعضاء وتلين لطاعة الله وتطمئن بذكره وتظهر محاسن العبد فيألف ويؤلف ويحب الله ويحبه الله وتفرح به الملائكة ويمئن اليه اهل ود الله ويكتب له القبول فى الارض وبإظلام القلب تظلم الجوارح وتنضج الشرور والاثام فيصاب العبد بالبعد والحرمان والقسوة والطغيان**

**قال الامام النووى رحمه الله " إن الاعمال الظاهرة لاتحصل بها التقوى وإنما تحصل بما يقع فى القلب من عظمة الله تعالى وخشيته ومراقبته ومعنى نظر الله هنا مجاراته ومحاسبته أى إنما يكون ذلك على مافى القلب دون الصور الظاهرة ونظر الله رؤيته وهو محيط بكل شىء ومقصود الحديث ان الاعتبار فى هذا كله بالقلب " وفى الحديث الذى رواه الشيخان عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وأهوى النعمان إلى أذنيه ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب**

**" قال أبو هريرة رضى الله عنه " القلب ملك وله جنوده فإذا صلح الملك صلحت جنوده واذا فسد الملك فسدت جنوده والقلب راعى الجوارح واميرها ان صلح صلح الكل وان فسد فسد الكل " وهو كالشجرة وسائر الاعضاء اغصان ومن الشجرة تشرب الاغصان قال الغزالى رحمه الله والقلب له جندان جند يرى بالابصار وجند لا يرى الا بالبصائر وهو فى حكم الملك والجنود فى حكم الخدم والاعوان وجنوده المشاهدة بالعين اليد والرجل والعين والاذن واللسان وجميع الاعضاء الظاهرة والباطنة لانها كلها خادمة مسخرة له وهو المتصرف فيها خلقت مجبولة على طاعته لا تستطيع له خلافا فذا امر العين بالانفتاح انفتحت واذا تامر الرجل بالتحرك تحركت واذا امر اللسان بالتكلم تكلم فالجوارح العبد ان طهارة القلب بالتوبة والتنزه عن الصفات الرديئة والاخلاق المذمومة والاقتداء بأهل ود الله ومحبته وخشيته ومراقبته والتخلق بالاخلاق الحميدة لان التخلية قبل التحلي بالفضائل ومن يقتصر على طهارة الظاهر فقط ويترك الباطن بلا طهارة بل محشوا بالاخلاق الرديئة والصفات الذميمة حالة كحال من اراد ان يدعو ملكا الى بيته فأخذ فى الاستعداد لاستقبال الملك فى هذا البيت فاشتعل بدهان الجدران من الخارج وتلوينها بأحسن الالوان والتفتن فى زخرفة الابواب الخارجية ووضع باقات الزهور ولوحات الزينة على طريقة لكنه ترك داخل البيت مليئا بالاشياء المنفرة والمشاهد الكريهة فذا راى ذلك الملك اشمأز ونفر وعلم ان صاحب البيت مزيف ملوث فيسرع بالخروج من ذلك البيت كذلك الملائكة المقربون تنفر من شخص قلبه اسود ملىء بالحقد والكره والحسد لعباد الله بينما هو من الخارج على غير ذلك كما ينفر منه الصالحون واولياء الله المقربون وكما لا تصح الصلاة التى هى وظيفة الجوارح الظاهرة الا بتطهير الظاهر من الاحداث والاخباث فكذلك لاتصحح عبادة الباطن وهى عبادة القلب الا بعد طهارته من خبائث الاخلاق وسرائر السوء فالنظافة مطلوبة ظاهرا وباطنا وفى قوله تعالى : " وثيابك فطهر " المدثر 4**

**قال سعيد بن جبير رضى الله عنه قلبك فطهر**

**وقال قتادة : نفسك فطهر من الذنب وقيل عملك فأصلح**

**وقيل ¨لاتلبس ثيابك على الدنس ولا غل ولا حقد ولا حسد**

**وقيل : المراد طهارة الجسم عموما والاخلاق خصوصا**

**وفى قوله تعالى : " إنما المشركون نجس "**

**تنبيه للعقول على ان الطهارة والنجاسة غير مقصودة على الظواهر المدركة بالحس فالمشرك قد يكون اكثر اهتماما بنظافة ثوبه وبدنه كلفا بتحسين هيئته وتجميل مظهره ولكن باطنه ملطخ بالخبائث وجوهره نجس ومعتقده فاسد فيستحسن الناس منه هذا المظهر لكنه غير مقبول عند الله**

**وفى الحديث الذى رواه البخارى ومسلم " إن الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب ولا صورة "**

**والصفات الذميمة مثل : الحقد والحسد والكبر والعجب والنفاق والغرور كلاب نابحة فكيف تدخل الملائكة بيتا وهو ملىء بالكلاب كذلك القلب المشحون بالغضب والشهوة والشراهة الى الدنيا والتكالب عليها والحرص على المال والتمزيق لاعراض الناس قلب فى الصورة كلب فى المعنى**

**وفى الحديث النبوى " القلوب اربعة قلب اجرد فيه مثل السراج يزهر وقلب اغلف مربوط على غلافه وقلب منكوس وقلب مصفح فاما القلب الاجرد فقلب المؤمن سراجه فيه نوره واما القلب الاغلف فقلب الكاغر واما القلب المنكوس فقلب المنافق عرف ثم انكر واما القلب المصفح فقلب فيه ايمان ونفاق ومثل الايمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والدم فأى المادتين غلبت على الاخرى غلبت عليه**

**والطهارة انواع**

**1 – طهارة الجوارح من الاخباث والانجاس وهى طهارة حسية**

**2 – وطهارتها من الشرور والاثام واذى عباد الله والتطاول عليهم وهى طهارة معنوية**

**3 - وطهارة الجسد من الحدث الاكبر والاصغر ومن فضلات البدن**

**4 – وطهارة السر من الحقد والحسد و الغدر و الكبر والغرور**

**5 – وطهارة القلب عما سوى الله تعالى وهى طهارة الاولياء وكبار اهل ود الله ومعرفته ومهما اجتهد العبد فى التنزه من الحدثين وطهر جسده من الفضلات وقلم اظفاره وغسل ظاهر جسده بالصابون ولبس احسن ملابسه ووضع على جسده اطيب العطور ولاحت عليه البشاشة واثر النعمة فيجب ان يعلم ان هذه طهارة ظاهرة لجسد هو موضع نظر الخلق وهو شىء جميل محبوب فى الاسلام لا غبار عليه ويبقى عليه امر من فروض هذا الدين وهو تطهير الباطن والقلب وتزيينه لانه موضع نظر الحق جل جلاله فاجتهد ماشئت فى تزيين الظاهر وتنظيفه وتحسينه فى عين الخلق وهو امر لا خلل فيه فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يسرح شعره ويلبث الثياب الجميلة وكان له ثوبان عند حائك من بنى النجار فكان يذهب اليه ويقول له "عجل بهما لنتزين بهما للناس وقالت عائشة رضى الله عنها " اجتمع قوم باب النبى صلى الله عليه وسلم فرأيته تطلع فى الحب ( هو الخابية للماء ) يسوى من رأسه ولحيته فخرج إليهم فقلت : او تفعل ذلك يارسول الله ؟ فقال " نعم إن الله يحب عبده أن يتجمل لإخوانه إذا خرج إليهم " وكان النبى صلى الله عليه وسلم مأمورا بالدعوة وكان من وظائفه ان يسعى فى تعظيم نفسه فى قلوبهم ويحسن صورته فى انفسهم وهذا امر واجب على كل عالم يتصدى لدعوة الخلق الى الله تعالى حتى لاينفر منه الناس ويزدرونه**

**عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم وكان رجلا جميلا فقال : يارسول الله إنى حبب إلى الجمال وأعطيت منه ماترى حتى ماأحب أن يفوقنى أحد إما قال بشراك نعلى وإما قال بشع أفمن الكبر ذلك ؟ قال صلى الله عليه وسلم " لا ولكن الكبر من بطر الحق وغمط الناس " أى أعرض عن الحق واحتقر الناس وقال ابم الحنظلية وهو من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " إنكم قادمون على اخوانكم فأصلحوا رحالكم واصلحوا لباسكم حتى تكونوا كأنكم شامة فى الناس فإن الله تعالى لا يحب الفحش ولا التفحش والشامة : العلامة المميزة فى البدن والمراد التجمل بلبس الثياب النظيفة وتجنب الحالة الرديئة الاسيفة المنفردة قال الحق جل جلاله :**

**" قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين ءامنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الأيات لقوم يعلمون " الاعراف 32**

**والمعول عليه فى كل ذلك النية الطيبة فمن كان قصده إظهار نعمة الله عليه يختلف عمن يفعل ذلك تكبرا وإظهار للزينة ليعظمه الناس فحسب وعلماء الاخرة الهم الاكبر عندهم بالاضافة الى طهارة الظاهر طهارة الباطن فذلك هو الجوهر النفيس**

**القلب محل العقل وموطنه**

**قال الله تعالى " ولقد زرأنا لجهنم طثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم ءاذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل ألاولئك هم الغافلون " الاعراف 179**

**وقال الله تعالى " أفلا يتدبرون القرءان أم على قلوب أقفالها " محمد 24**

**وقال الله تعالى " فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور " الحج 46**

**هذه الايات الكريمة تفيد ان العقل محله القلب وموطنه والعقل هو القوة المتهيئة لقبول العلم اودعها الله تعالى فى قلب الانسان يميزه بها عن الحيوان وهو نور إلهى ولطيفة أكرم بها الانسان ومما يدل أيضا على أن القلب موضع العقل والفهم والعلم قوله تعالى " ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب " الحج 32**

**فتعظيم شعائر الله دلالة على تقوى القلوب ويقظتها والنور الذى اودع فيها وفى الحديث " التقوى هاهنا " وأشار إلى صدره ثلاث مرات**

**والله سبحانه وتعالى يحاسب العبد ويكافئه على مافى قلبه إن خيرا فخيرا وان شرا فشرا والاعمال بالنيات والنية محلها القلب والنوايا الطيبة خير من الاعمال الخالية عن النوايا الطيبة**

**وروى الامام مسلم عن ابى هريرة رضى الله عنه " إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأشار بأصابعه إلى صدره**

**قال المازرى : واحتج بعض الناس بهذا الحديث على ان العقل فى القلب**